في قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود فنحن مسلمون فقال الله عز وجل لنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا قوله عز وجل كيف يهدي الله قوما كفروا
بعد ايمانهم نزلت في اثني عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة واتوا مكة كفارا منهم الحرث
بن سويد الانصاري وطعمة بن ابيرق وحجوح بن الاسلت وقال ابن عباس نزلت في اليهود والنصارى
وذلك ان اليهود كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون به على الكفار ويقرون ويقولون
هذا اظل زمان نبي مبعوث فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به بغيا وحسدا ومعنى كيف
يهدي الله كيف يرشد الله للصواب ويوفق للايمان قوما كفروا اي جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم بعد ايمانهم اي تصديقهم اياه واقرارهم به وبما جاء به من عند ربه وشهدوا ان الرسول حق يعني وبعد
ان اقروا وشهدوا ان محمدا رسول الله الى خلقه وانه حق وصدق وجاءهم البينات يعني بالحجج والبراهين
والمعجزات الدالة على صحة نبوته التي بمثلها تثبت النبوة والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يوفقهم الى الحق
والصواب لما سبق في علمه تعالى انهم ظالمون وقيل لا يهديهم في الاخرة الى الجنة والثواب فان
قلت كيف قال في اول الاية كيف يهدي الله قوما كفروا ثم قال في اخرها والله لا يهدي
القوم الظالمين وهذا تكرار قلت ليس فيه تكرار لان قوله كيف يهدي الله قوما
كفروا انما هو مختص باولئك المرتدين عن الاسلام ثم قال انه تعالى عمم ذلك الحكم في اخر الاية فقال والله
لا يهدي القوم الظالمين يعني جميع الكفار المرتدين عن الاسلام والكافر الاصلي والفاسق الكافر
ظالما لانه وضع العبادة في غير موضعها اولئك جزاؤهم يعني الذين كفروا بعد ايمانهم ان عليهم لعنة
الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها اي في عذاب اللعنة وقد تقدم تفسير هذه الاية
في سورة البقرة لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اي لا يؤخرون عن وقت العذاب ولا
يؤخر عنهم من وقت الى وقت ثم استثنى سبحانه وتعالى فقال الا الذين تابوا من بعد ذلك يعني من بعد
ارتدادهم وكفرهم وذلك ان الحرث بن سويد الانصاري لما لحق بالكفار ندم على ذلك فارسل الى
قومه ان سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة ففعلوا فانزل الله تعالى الا الذين
تابوا من بعد ذلك واصلحوا الاية فبعث بها اليه اخوه الجلاس مع رجل من قومه فاقبل الى المدينة
تائبا وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته وحسن اسلامه واصلحوا اي وضموا الى التوبة الاعمال
الصالحة فبين ان التوبة وحدها لا تكفي حتى يضاف اليها العمل الصالح وقيل واصلحوا باطنهم مع الحق
بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات والطاعات فان الله غفور رحيم اي غفور لقبائحهم في الدنيا
بالستر رحيم في الاخرة بالعفو وقيل غفور بازالة العقاب رحيم باعطاء الثواب قوله عز وجل ان
الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا نزلت في اليهود وذلك انهم كفروا بعيسى والانجيل بعد
ايمانهم بموسى وغيره من انبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل
نزلت في اليهود والنصارى وذلك انهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما راوه بعد ايمانهم به قبل
مبعثه لما ثبت عندهم من نعته وصفته في كتبهم ثم ازدادوا كفرا يعني ذنوبا في حال كفرهم وقيل
نزلت في جميع الكفار وذلك انهم اشركوا بالله بعد اقرارهم ان الله خالقهم ثم ازدادوا كفرا يعني باقامتهم
على كفرهم حتى هلكوا عليه وقيل ازدياد كفرهم هو قولهم نتربص بمحمد ريب المنون وقيل نزلت في
الاحد عشر رجلا من اصحاب الحرث بن سويد الذين ارتدوا عن الاسلام فلما رجع الحرث الى الاسلام

اقاموا

اقاموا على كفرهم بمكة وقالوا نقيم على الكفر ما بدا لنا فمتى اردنا الرجعة رجعنا فينزل فينا مثل ما نزل في الحرث
فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فمن دخل منهم في الاسلام قبلت توبته ونزل فيمن مات
منهم على كفره ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الاية فان قلت قد وعد الله قبول
التوبة ممن تاب فما معنى قوله لن تقبل توبتهم قلت اختلف المفسرون في معنى
قوله تعالى لن تقبل توبتهم فقال الحسن وعطاء وقتادة والسدي لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت
وهو وقت الحشرجة لان الله تعالى قال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم
الموت قال اني تبت الان فان الذي يموت على الكفر لا تقبل توبته كانه قال لليهود والكفار
والمرتدين الذين فعلوا ما فعلوا ثم ماتوا على ذلك واولئك هم الضالون وقال ابن عباس انهم الذين
ارتدوا وعزموا على اظهار التوبة لستر احوالهم والكفر في ضمائرهم وقال ابو العالية هم قوم تابوا من
ذنوب عملوها في حال الشرك ولم يتوبوا من الشرك فان توبتهم في حال الشرك غير مقبولة وقال مجاهد
لن تقبل توبتهم اذا ماتوا على الكفر وقال ابن جرير معناه لن تقبل توبتهم مما ازدادوا من الكفر
على كفرهم لان الله تعالى وعد ان يقبل التوبة عن عباده وانه قابل توبة كل تائب من ذنب
لقوله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم علمنا ان المعنى الذي لا تقبل
التوبة منه غير المعنى الذي تقبل التوبة منه فعلى هذا الذي لا تقبل توبته هو الازدياد على الكفر
بعد الكفر لا يقبل الله منه توبة ما اقام على كفره لان الله تعالى لا يقبل عمل مشرك ما اقام على شركه
فاذا تاب من شركه وكفره واصلح فان الله كما وصف نفسه غفور رحيم وقوله تعالى واولئك هم الضا لون
يعني هؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا هم الذين ضلوا عن سبيل الحق واخطؤوا منهاجه قوله
عز وجل ان الذين كفروا وماتوا قال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دخل من كان وهم كفار
من اصحاب الحرث بن سويد حيا في الاسلام فنزلت هذه الاية فيمن مات منهم على الكفر وقيل نزلت
فيمن مات كافرا من جميع اصناف الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام فالاية عامة
في جميع من مات على الكفر فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا اي قدر ما يملأ الارض من شرقها
الى غربها ولو افتدى به قيل معناه لو افتدى به فالواو زائدة مقحمة وقيل الواو على حالها وفائدتها
انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا وقد مات على كفره لم ينفعه وكذلك لو
افتدى من العذاب بملء الارض ذهبا لن يقبل الله منه وهذا اكد في التغليظ لانه تصريح بنفي القبول
في جميع الوجوه فان قلت الكافر لا يملك شيئا في الاخرة فما وجه قوله فلن
يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا قلت الكلام ورد على سبيل الفرض والتقدير والمعنى
لو ان للكافر قدر ملء الارض ذهبا يوم القيامة لبذله في تخليص نفسه من العذاب ولكن لا يقدر على
شيء من ذلك وقيل معناه لو ان الكافر انفق في الدنيا ملء الارض ذهبا ثم مات على كفره لم ينفعه
ذلك لان الطاعة مع الكفر غير مقبولة اولئك اشارة الى من مات على الكفر لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين
يعني مانعين يمنعونهم من العذاب (ق) عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول
الله عز وجل لاهون اهل النار عذابا يوم القيامة لو ان لك ما في الارض من شيء اكنت تفتدي به
فيقول نعم فيقول اردت منك اهون من هذا وانت في صلب آدم ان لا تشرك بي شيئا فابيت الا
الشرك لفظ مسلم قوله عز وجل لن تنالوا البر قال ابن عباس يعني الجنة وقيل البر هو التقوى وقيل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)